الدرس الأول:

الفكر الإنساني البدائي

تمهيد:

يمتد تاريخ كوكب الأرض وظهور الحياة عليها إلى حقب زمنية تسبق بكثير تاريخ ظهور الإنسان الأول عليها، فلم تشهد الأرض ظهور الإنسان عليها عندما كانت الديناصورات موجودة والمحيطات أكبر وأوسع مساحةً، بل إن الإنسان لم يكن هو أول الثدييات التي ظهرت على سطح الأرض بل سبقته ثدييات أخرى كالجرذان والقوارض والقردة، التي ظهرت منذ 66 مليون سنة، مقابل ظهور الإنسان منذ 23 مليون سنة، والتي رافقها زيادة في حجم الدماغ ونمو المهارات اليدوية والعيش في جماعات وتطور أدوات الصيد، وبالتالي بروز أولى علامات الفكر الإنساني البدائي. 1

وفي هذه المحاضرة الأولى (الدرس عن بعد) سنحاول التعرف على المراحل التي مر بها ظهور الإنسان العاقل المفكر، وكذ الاقتراب من أهم منجزاته الفكرية البداية مثل التدين، والعبادات، والسحر، والصيد، والرسم على جدران الكهوف، وإيقاد النار، وصولا إلى تقسيم المهام بين التجمعات البشرية البداية.

1. تطور الإنسان من المنظور الجيولوجي

لا بأس أن نشير بداية أن هذا التقسيم التطوري المعمول به هو تقسيم غربي بالدرجة الأولى، يعتمده في مجمله على مسلمات نظرية لتطور التي وضعها العام داروين، ورغم وجود عديد التحفظات حول نظريته هذه التي تنسب سلاف الإنسان القديم إلى شكل متطور من القردة، إلا أننا فضلنا إيراد هذا التقسيم الموجود في أغلب المراجع العلمية المترجمة التي استطعنا الوصول

إليها، وتقديمه باعتباره تقسيما كرونولوجيًا يسمح بالتعرف على مزايا العصور القديمة، وليس اعتباره تقسيما دقيقا بالضرورة:

أ. من القردة إلى أشباه الإنسان

سمحت الحفريات الأثرية العديدة والكشوفات الجيولوجية المحققة على مدار قرن من الزمن تقريبا، بالتوصل إلى استنتاج عن أن أسلاف الإنسان كانوا من القردة الشبيهة بالإنسان، والتي كانت تعيش في عصر الميوسيني (والذي يعرف كذلك باسم العصر الثلثي الأوسط)، وكان نمط حياتها شبه أرضي وشبه شجري. إلا أن الظروف المعيشية تغيرت مع الزمن، واضطرت القردة للنزول إلى الأرض من الشجر. ويرى العلماء في تبدل المناخ أحد الأسباب الرئيسة لهذه التغيرات، فقد أجبرت الظروف المتغيرة للحياة الحيوانات الضخمة على التكيف مع الظروف الجديدة، إذ وجب عليها القلق على سلامتها وتجنب الوقوع فريسة سهلة للعديد من الحيوانات الأرضية المفترسة.2

وقد جرى هذا التكيف باتجاهين اثنين: إذ تحركت المجموعة الأولى نحو "العملقة" giantism: حيث مكنّتها أحجامها الضخمة من زيادة القوة للدفاع و الهجوم. ومن بين العمالقة القدماء كان هناك دريوبيثاكوس Dryopithecus و جيغانتوبيثيكوس Gigantopithecus، و من الحديثة- الغوريلا Gorilla. 3

أما المجموعة الأخرى فلم تكن مضطرة إلى الاعتماد على القوة والحجم، إنما على الذكاء والفطنة. فمن المعروف أنه حتى القردة الحديثة تستخدم في كثير من الأحيان الوسائل المتاحة لتحقيق أهدافها (تحطيم الجوز بالصخور، الوصول إلى الموز بالعصا وما إلى ذلك). إذ حاولت الكائنات القديمة تغطية النقص في القوة البدنية "**بالنشاط بمساعدة الأدوات الأصلية**" الذي استمرت أهميته بالإزدياد، وفي بعض الأحيان توقفت عليه حياة القردة القديمة وسلامتها. 4

هذه الاستعانة بالأدوات هي بالذات التي مهدت لظهور شبيه الإنسان أو الإنسان الأول، وبدية تطور الفكر الإنساني البدائي، وبدء الأسلاف باستعمال تفكيرهم وعقولهم.

ب. ظهور شبيه الإنسان (ما قبل البشر)

قبل زهاء 5–6 مليون سنة وضعت مجموعة من أشباه الإنسانanthropoids من عصر الميوسين البداية لكائنات مختلفة كليا عن الكائنات الحية الأخرى جميعها، واكتسبت هذه الكائنات تسمية "ما قبل البشر" أو أسترالوبيثكس Australopithecus، رافقتها عملية تغيير تدريجي في نمط الغذاء، فقد كان العديد من القردة عاشبة (تقتات على العشب)، وبعد نزولها إلى الأرض من الأشجار تكيفت مع ظروف البيئة المختلفة، وبات من الممكن بالفعل أن تسمى بالحيوانات المفترسة. غير أنها وخلافا للحيوانات، استخدمت أدوات مختلفة للصيد، وانتقلت من الاستخدام العرضي لها إلى استخدامها استخداما منهجيا، رافقها ظهور المشي المنتصب (الذي يمشي به الإنسان اليوم)، ومع ذلك، لا يمكن تسميتها بالبشر، إذ لم تعرف كيفية صنع الأدوات بنفسها ولا طريقة التفكير بطريقة منطقية صحيحة.5

تتمثل أولى المظاهر المعروفة للثقافة المادية بالأدوات الحجرية التي ظهرت قبل 2–2,5 مليون سنة تقريبا، وأنتجتها كائنات أطلق عليها مسمى" الإنسان الماهر(الصانع) Homo habilis" و يعتقد بعض العلماء أنه لا يمكن اعتبار المهرة بشرا لأنهم فعليا لم يختلفوا عن القردة الجنوبية، ولم يكن لديهم لغة، على الرغم من أنهم كانوا قادرين على تصنيع الأدوات المختلفة. ويعتقد بعض الباحثين أن القردة الجنوبية كانت أشباه بشر مبكرة، كذلك لا يمكن اعتبار المهرة بشرا لأنهم لم يكونوا مخلوقات اجتماعية، و إنما عاشوا في تجمعات حيوانية بحتة. 6

وقد وضع "المهرة" البداية لعملية تشكل الإنسان والمجتمع البشري التي استمرت لمدة 1,5–1,6 مليون سنة.

جـ. ظهور الإنسان البدائي (المنتصب) واستعمال العقل وظهور الثقافة المادية والروحية

وفقا لتأكيدات الكثير من الباحثين، فإن الحد الذي يمكن بوساطته تمييز المورفولوجية البشرية عن الحيوانية لا يجري بين "المهرة" و "ما قبل البشر"، و إنما بين المهرة و الإنسان البدائي

Archaic Homo sapiens. انتهت هذه الفترة قبل زهاء 35–40 ألف سنة (العصر الحجري المبكر).

تطلب النشاط اللاحق لأشباه البشر عملا مشتركا، وأصبح هادفا وإراديا. و ظهر الإنسان البدائي أو الإنسان المنتصب (هوموإريكتوس) Homo erectus، الذي يعني "الإنسان الذي يسير بشكل مستقيم" (قبل 1,5–1,6 مليون سنة)، والذي يعد أول إنسان متكون.7

وعلى المستوى الفكري، استخدم أسلاف البشر الحجارة والعصي والعظام كأدوات لهم. ويمكن الافتراض بأنهم لاحظوا الفروق الجوهرية بين الحجارة، فمن السهل جدا كسر بعض الأحجار بأحجار أخرى، وذلك بغية الحصول على قطعٍ مناسبة مع حافة حادة تفيد في قطع الجلد أو في استخدامات أخرى. 8

ومع تراكم الخبرة، جرى الانتقال من العمل بمساعدة الأدوات إلى العمل الخالص بالأدوات، وهو نشاط تصنيع الأدوات (إبداع الأدوات)، وكذا تطور نشاط الحصول على مواد من الطبيعة بمساعدة الأدوات المصنعة (الحصول بالأدوات). ويمكننا أن نفترض أن أولى الأدوات كانت مصنوعة في مجملها من الحجر، وبمساعدتها استطاع الإنسان البدائي معالجة الأشجار. ومن هنا جاءت تسمية "العصر الحجري".

بيد أن العصر الحجري ينقسم إلى ثلاثة مراحل كبرى: العصر الحجري القديم، والعصر الحجري الوسيط (العصر المزوليتي) والعصر الحجري الحديث. وينقسم العصر الحجري القديم بدوره إلى ثلاث مراحل هي السفلى (المبكرة)، والمتوسطة، والمتأخرة (العليا). مع التنويه أن هذا الإنسان المنتصب الذي ظهر وقتها يشبه كثيرا لإنسان احديث، أو بعبارة أخرى هو أقرب شكلا لنا من الإنسان الأقدم الاشبه بالقردة. 9

تسمح الاكتشافات الأثرية باستنتاج ظهور أدوات عمل متشابهة في أماكن مختلفة، وتمثل الفأس اليدوية مثالا جليا على ذلك. وتسمح هذه الاكتشافات النموذجية باستنتاج ظهور أدوات نموذجية تعتبر" نوعا أثريا".

وقد ظهرت لدى الإنسان البدائي بؤر للنمو الشديد في أجزاء من المخ، مرتبطة بتنفيذ الوظائف المميزة للإنسان (**الكلامية** منها بوجه خاص، ويعتقد معظم العلماء أن كلا من **الثقافتين المادية والروحية** ولدتا مع الإنسان البدائي، فقد كان "الإنسان القديم" قادرا على تصنيع أدوات العمل الحجرية، بشكلٍ سمح للباحثين بالقول إن الإنسان القديم امتلك "عقلا".

يعد **إخضاع النار** أحد أهم إنجازات أسلافنا البعيدين فقد كان إشعال النار عملا معقدا وشاقا. وتوقف ذلك على ظروف كثيرة، فالفرد الذي كان يقوم بإشعالها كان يتمتع بقدرات ومهارات معينة لم تكن متوافرة لدى جميع أفراد القبيلة، فالنار أداةٌ لمواجهة الظروف المناخية، كما كانت لنار سلاحا، فلأجل هزيمة الأعداء، كان من الضروري سرقة نارهم أو إخمادها. وبدون النار التي دفّأت الإنسان البدائي، كان يمكن للقبيلة أن تفنى، وكانت هناك تطورت ظهور الإنسان العاقل هومونيانتاردال. 10

2. الفكر عند إنسان الهومونيانتاردال العاقل

إذن، عاش الأسلاف عند دخولهم هذه المرحلة من التطور في مجتمعات صغيرة، وكان يتوجب بالفعل وجود معايير معينة للسلوك. ووفقا لبعض الباحثين، كان "الإنسان المنتصب" قادرا على الكلام، واقتصر تواصله على الدمدمة أو على إصدار أصوات منفصلة. وكان لدى سكان كهوف تشوكوديان مصنوعات من الكوارتز الصلب، واستخدموا جماجم الحيوانات كأكواب للشرب والطعام.

وتُعتبر الأحجار شبه المصقولة التي استخدمها الإنسان الحجري القديم، والموجودة بجميع القارَّات، دليلا على انتشار الإنسان في عديد بقاع الأرض، إذ توصَّل الإنسان في مواطنه الجديدة إلى فن إشعال النار عن طريق الاحتكاك، وتناول أطعمة جديدة مثل مسحوقات الجذور النباتية المطهية. وصولا الى ظهور الشعوب التي تعيش على الصيد (رغم أن ثمار الصيد في هذه الفترة كانت تعتمد على المصادفة غير المضمونة؛ مما يجعل وجود شعب يعتمد على الصيد وحدَه مستحيلا). ونظرًا لعدم ضمان موارد الطعام فمن المحتمل أن أكل لحوم البشر قد عُرِف

في هذه الفترة، وما زال الأستراليون الأصليون يعيشون حتى يومِنا هذا في المرحلة الوسطى من الوحشية.11

ظهر الإنسان القديم العاقل أو إنسان نياندرتال Homo neanderthaensis (وهو حفيد الإنسان البدائي) إلى حوالي 200–300 ألف سنة. ووفقا لرأي المختصين، فإنه في هذه الحقبة تشكّل التفكير والإرادة واللغة. ويتمثل الفرق الرئيسي بين الثقافة المادية للإنسان البدائي وإنسان نياندرتال في الآتي: تصادف لدى الإنسان البدائي العديد من مجموعات الأدوات المختلفة، إلا أنها جميعها متماثلة من الناحية تركيبة المنتجات، بينما يمتلك إنسان نياندرتال عددا كبيرا من المجموعات المختلفة التي تمتلك كل واحدة منها مجموعات فرعية من الأدوات الحجرية تختلف كل منها عن الأخرى. وإذا كان الحديث في الحالة الأولى (الإنسان البدائي) يدور حول وجود ثقافة مشتركة للبدائيين جميعهم، ففي الحالة الثانية (إنسان نياندرتال) يمكن الحديث عن ثقافات أثرية مختلفة. 12

مع التنويه أن أحفاد الإنسان البدائي للعصر الحجري السفلي هما الإنسان البدائي وإنسان نياندرتال اللذان تحولا إلى الإنسان العاقل Homo sapiens ويمكن وبكامل الثقة تسمية الإنسان العاقل بالبشر من النوع الحديث، فقد تميز بالقدرة على التفكير والتجريد وكان قادرا على تكديس وفهم الخبرة العملية وتجسيد الادراك الحسي في المجال الروحي.

ولعل أشهر المنجزات الفكرية البدائية عند الإنسان البدائي العاقل هي "الدفن"، والذي يعود إلى الآثار القديمة الروحية، فقد كان إنسان نياندرتال يدفن الموتى من أقاربه، وهناك عدة نظريات حول هذا الموضوع:

1- يعتقد العديد من العلماء أن البشر البدائيين آمنوا بوجود الروح لديهم و بمواصلتهم الوجود بعد الموت.

2- ينظر آخرون بكثير من الشك إلى مثل هذه الافتراضات، فبرأيهم أن البشر البدائيين لم يؤمنوا بالروح، إنما بالخصائص الخارقة للجثة مثل الانتفاخ والتحلل والتلون.

3. **الفكر الإنساني البدائي العاقل**:

الدين، والدفن، والسحر، وأدوات الصيد، ورسوم الكهوف

إن الحضارة المادية والفكرية لأي مجتمع بدائي تحتوي على عدد كبير من الأدوات والمنتجات التي تُستخدَم في شتى أشكال الحياة، ويمكن أن نقسِّم هذه الأدوات على النحو التالي:

أولا: أدوات جمع وإنتاج الغذاء، وتختلف اختلافًا كبيرًا من حيث النوع والعدد حسب الأنماط الاقتصادية السائدة.

ثانيا: المسكن والأثاث الذي يحتويه، وخاصة المطبخ ونوع الموقد وأشكال الأوعية المستخدمة في حفظ الطعام (قبل أو بعد طهوه)، والأوعية المستخدمة في الطهو والأكل.

ثالثًا: الملبس والزينة الشخصية، وتختلف باختلاف خامة الملابس وأدوات إنتاج هذه الملابس (جلود، فراء، نسيج، مغزل، نول)، وخامة الزينة أشكال مضافة (الحلي بأنواعها وخامتها من الأصداف إلى اللآلي والألماس)، أو أصباغ وألوان ثابتة (الوشم)، أو غير ثابتة (المكياج القديم والحديث) وتصفيف الشعر، ويدخل أيضًا تحت قائمة الزينة التشويهات المتعمدة في الجسم للوصول إلى شكل جمالي متعارف عليه عند المجتمع المعني.

رابعا: أدوات طقسية تُستخدَم في العبادة (كالأيقونات والتماثيل أو الحراب أو غير ذلك)، وفي مناسبات طقسية معينة (طقوس البلوغ والتعميد)، وفي الأفراح وفي الوفيات.

خامسا: الألعاب والفنون والأصباغ والألوان.

سادسا: أدوات الدفاع أو الهجوم والأسلحة (وبعض هذه الأسلحة يُستخدَم أيضًا في الصيد والسماكة).

سابعا: أدوات الانتقال البرِّي والمائي. 13

ولعل الفضل في الاحتفاظ بهذه الأدلة حول الفكر الإنساني البدائي يعود إى تطوير الإنسان القديم مهارة التصوير على جدران الكهوف، والتي تركت لنا شواهد دمغة عن فكر تلك الفترة. 14

قبل زهاء 40 ألف عام، بدأ الإنسان العاقل بتهجير من سبقوه (إنسان نياندرتال) الذين سرعان ما اختفوا تماما من على وجه الأرض. إذ يعتقد العلماء أنه في هذه الفترة على وجه التحديد بدأت أولى **المعتقدات الدينية** بالظهور (على الرغم من عدم استبعاد أن يكون قد حدث هذا قبل ذلك).

بدأت فترة العصر الحجري القديم الأعلى (قبل زهاء 40–18 ألف عام). و يشير الباحثون إلى اثنين من الابتكارات المميزة للإنسان العاقل في العصر الحجري القديم الأعلى:

1- **الدفن،** فقد كان إنسان الكهوف العاقل يدفن أقربائه المتوفين، فقد كان يغطى الموتى بطبقة من أكسيد الرصاص، وتدفن معهم الحلي والأواني. إذ كان لديهم بالفعل تصورٌ عن الحياة الآخرة التي بدت لهم متشابهة للحياة الدنيوية، واعتقدوا أن الموتى قادرون على التسبب بالخير والشر لهم.

2- كان المجتمع البدائي حميميا، إذ يعتقد كثير من الباحثين أن لدى البشر البدائيين كان هناك عرف الاهتمام بأفراد مجتمعهم. واستطاع الناس القدماء إدراك أنفسهم كأفراد منفصلين عن القبيلة، وكذلك فهم القواسم المشتركة مع غيرهم من أبناء القبيلة. 15

3- في أوائل العصر الحجري القديم الأعلى ظهرت **الرسوم السحرية** في لوحات الكهوف، فقد صورت مشاهد الصيد بغية أن يصبح الصيد الحقيقي موفقا. و النوع الأخر من الرسوم المميزة للفن الصخري هي رسومات أشخاص يرتدون جلود الحيوانات. ولا يستبعد أن ذلك يعبر عن الاعتقاد بالعلاقة الوثيقة التي تربط بين البشر والحيوانات.

وقد سعى الإنسان القديم من خلال السحر (في شكله البدائي) كسلوكٍ فكري لإخضاع الآخر، وإخضاع الطبيعة وحتى الحيوانات. 16

وقد اختفى إنسان نياندرتال تماما من على وجه الأرض35 ألف سنة، ليسود الإنسان العاقل في أوروآسيا. في هذه الفترة أمتلك المعارف كبيرة تمكن من جمعها استنادا إلى تجارب الماضي. فكان يعرف الخصائص الجغرافية للأماكن التي يقيم فيها، وكان ذلك ضروريا من أجل البقاء على قيد الحياة في الظروف الصعبة والتنافس مع القبائل المجاورة. وكان ضليعا في معرفة

نوعية وخصائص الصخور التي كان عليه التعامل معها، فقد كان من الضروري ليس فقط العثور على الحجر المناسب، إنما اختيار الحجر الأكثر ملائمة للتصنيع. وكلما كانت المادة الأصلية (الحجر) أفضل، تكون المادة المصنعة أقوى. وعلى المادة المنتقاة بشكل جيد اعتمدت جودة ومتانة المادة المصنعة وتطلب الأمر معلومات دقيقة عن الموارد الطبيعية من أجل استخدامها وحمايتها من الأعداء.

وكذلك في تلك الفترة أصبح الناس قادرين على التمييز بين ما هو مفيد وما هو ضار من النباتات. وكانوا قادرين على تمييز النباتات التي يمكن استخدامها بكميات كبيرة في الطعام، كما عرفوا سر الأعشاب الطبية التي لا ينبغي استعمالها بكميات كبيرة، إنما بجرعات معينة من أجل العلاج. وتسمح الحفريات الأثرية باستنتاج أنهم في تلك الفترة عرفوا مداواة الجروح والكسور.17

4. الفكر الإنساني في العصر الحجري، النحاسي، البرونزي، والحديدي:

في فترة العصر الحجري المتأخر ظهر الدين بشكل جمعي وتحديدا عبادة الشمس والحيوانات، وكانت الفنون التشكيلية معروفة قبل ذلك بكثير، إلا أن إبداع الناس البدائيين لم يقتصر عليها فقط. فكانت الفنون التطبيقية متطورة، إذ عرف الناس التزيين واستخدموه بشكل واسع وأقاموا الأعياد مع الرقص والموسيقى والتمثيل الإيمائي والأغاني. وظهرت الأقوال المأثورة والأمثال والقصص والحكايات الخرافية.

وقد شكلت الأشجار والعظام والأحجار المواد الرئيسة التي استخدمها الناس البدائيون لتصنيع الأدوات والأسلحة والأواني المنزلية، فقد صنعت الأواني المنزلية من الأغصان والقضبان والخيرزان والقشور. وتم طهي الطعام بعد اختراع الأواني الفخارية فقط، فقبل ذلك كانوا يلقون الأحجار الساخنة في الطعام لتسخينه. 18

وقد كانت ملابس الناس البدائيين تعتمد على المكان الذي يعيشون فيه، إذ حدد البدائيون الثمار الصالحة للأكل وجمعوها، و مع مرور الوقت حددوا الأماكن التي فيها يمكن جمع الثمار

الصالحة للأكل. ثم جاء إدراك موعد نضج المحصول الذي كان متباينا بالنسبة للأنواع المختلفة من النباتات . لم يقم الجامعون (و معظهم من النساء) بجمع الثمار للوجبات اليومية فحسب، وإنما قاموا أيضا بإنشاء المخزون، الأمر الذي تتطلب ذاكرة جيدة وذكاءً وقدرة على ربط الوقائع المتفرقة في صورة واحدة. 19

وفي مجال الصيد، فقد استخدمت الفخاخ والمصايد والشباك، وكان حفر الفخ الأرضي لصيد الحيوانات الضخمة- لتوفير الغذاء للقبيلة لفترة طويلة- بالنسبة لشخص بمفرده ضربا من المستحيل، كما كان من المستحيل أيضا تغلب شخص أو شخصين على حيوان مفترس ضخم. لذلك جرى الصيد في مراحله الأولى بشكل جماعي، و بعد ذلك تحول إلى فردي .و كان لصيد الأسماك الأهمية القصوى في بعض المناطق، و غالبا ما تطلب بذل جهود مشتركة.

وغالبا ما استخدم الكرومانيون cro-Magnon (الأقرب للإنسان الحالي) الكهوف للسكن، إلا أنهم كانوا يجيدون بناء مساكن لأنفسهم على شكل مخبأ تحت الأرض أو خيمة تحميهم من الصقيع في فصل الشتاء.

في تطور الفكر المادي كانت هناك نقطة تحول سميت بالحجرية الحديثة، إذ ظهر الاقتصاد الانتاجي لأول مرة في تاريخ البشرية في غرب آسيا (فترة القرنين التاسع- الثامن قبل اليلاد)

ثم استبدلت الأدوات الحجرية بالأدوات النحاسية ليحل العصر الحجري النحاسي من هنا جاءت تسمية العصر النحاسي). بعد ذلك حل العصر البرونزي الذي استبدله العصر الحديدي.

ففي العصر البرونزي عبد الناس الشمس. وهناك عدة فرضيات بشأن الأسباب التي كانت وراء ثورة العصر الحجري الحديث. ولليوم مازال الباحثون يواصلون التساؤل عن الشيء الذي شكل السبب الرئيسي الذي جعل الصيادين وجامعي الثمار يتحولون إلى مزارعين ورعاة و مربي مواشي مستقرين.

وفي دراسته لقضايا الثقافة البدائية يلاحظ لوسيان ليفي برول Lucien-leve- Bruhl عدة عوامل هامة، هي:

1. بالنسبة لوعي الإنسان البدائي ليس هنالك "حقيقة مادية بحتة" بكل ما نعطيه لهذه الكلمة من معنى، فتفكيره هو بطبيعته باطني.
2. تمثل المادة في استيعاب الإنسان البدائي "كلا متكاملا" لا ينقسم إلى جسد وروح.
3. الأهمية الكبرى في استيعاب الناس البدائيين تعود إلى التصورات الجماعية التي تفرض عليها البصمة الباطنية.20

ومن أجل توصيف خصائص التفكير البدائي يدخل ليفي برول مصطلح "ما قبل المنطقي"، وتتمثل إحدى أهم سمات التفكير ما قبل المنطقي في أنه لا يخشى التناقضات، و يتعامل معها بلا مبالاة. 21

لم يكن في التفكير البدائي تمييز واضح تماما بين الذات والموضوع، وما يحدث داخل الإنسان البدائي و خارجه هو كل لا يتجزأ.

بالتزامن مع الطوطمية و الإحيائية تشكل "السحر" ، إذ خلق الإنسان البدائي التمائم والطلاسم والأصنام. وغالبا ما كان التعامل مع تلك العناصر السحرية بمقدور المشعوذين فقط. وغالبا ما تعامل الناس البدائيون مع الأصنام بدون طقوس خاصة. ففي حال لم يجلب الصنم النتائج المرجوة على الرغم من التذكير الملح عُوقب الصنم بشدة كما لو أنه إنسان حي مذنب. وفي الحالات التي لا ينفذ فيها الصنم مرة تلو الأخرى الطلبات، يرمى ويستبدل بصنم آخر.

على أية حال فإن كلا من علم ما قبل التاريخ وعلم الإثنولوجيا أو علم السلالات البشرية قد التقيا على صعيد وصف "العادات والثقافة والفكر والمعتقد" عند الإنسان القديم، وقد سمحت الكثير من القطع المادية الموجودة إلى اليوم بإعادة تمثيل ثقافة الشعوب البدائية سواءً أشياء تمثل حالة هذه الشعوب (ملابس من جلود الحيوانات– و سهام...إلخ) أو أجزاء من أجسادهم، فقد تم جمع الكثير من الجماجم و قوالب الأجساد التي شكلت معا أساس منهج يتيح قراءة للعالم القديم.22

خاتمة:

لقد مرّ الفكر الإنساني البدائي بتطورات كبيرة، ارتبطت أساسا بضرورة بقاء الإنسان حيا ومواجهته ظروفه القاسية، واضطراره لإعمال عقله لإيجاد حلول للمشكلات العديدة التي واجهته في كفاحه للبقاء حيا ومواجهة الظروف البيئية والمناخية الميحطة به، إذ تعد أدوات اصيد، وإيقاد لنار، والأسلحة البدائية وجرار حفظ الطعام ورسومات الكهوف وقرابين الآلهة الأولى جميعها أدلة على الرحلة الفكرية البدائية التي مر بها الإنسان الأول، والتي مهّدت لتطور الفكر الإنساني بشكل أكبر في العصور اللاحقة وتطوير أدوات البقاء والعيش.

المراجع المستعملة في الدرس حسب ترتيب حضورها:

1. جيريمي بلاك: مختصر تاريخ العالم، من عصور ما قبل التاريخ حتى القرن الحادي والعشرين، دار الكتب العلمية، بغداد، 2019، ص 35
2. دينيس أليكساندروفيتش تشيكالوف وفلاديمير كوندراشوف: تاريخ الثقافة العالمية، مشروع كلة للترجمة، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2014، ص 17
3. إيان تاتيرسول: العالم من البدايات وحتى أربعة آلاف قبل الميلاد، مشروع كلمة، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2011، ص 67
4. دينيس أليكساندروفيتش تشيكالوف وفلاديمير كوندراشوف، مرجع سبق ذكره، ص 17
5. جيريمي بلاك، مرجع سبق ذكره، ص 37
6. دينيس أليكساندروفيتش تشيكالوف وفلاديمير كوندراشوف، مرجع سبق ذكره، ص 18
7. إيان تاتيرسول، مرجع سبق ذكره، ص 109
8. جيريمي بلاك، مرجع سبق ذكره، ص 41
9. برنارد وود: تطور الإنسان، مقدمة قصيرة جدا، دار هنداوي للنشر، القاهرة، 2016، ص 96
10. دينيس تشيكالوف وفلاديمير كوندراشوف، مرجع سبق ذكره، ص 20
11. فريديريك إنجلز: أصل نظام الأسرة والدولة والملكية الفردية، دار هنداوي للنشر، القاهرة، 2018، ص 12
12. جيريمي بلاك، مرجع سبق ذكره، ص 42
13. محمد رياض: الإنسان، دراسة في النوع والحضارة، دار هنداوي للنشر، القاهرة، 2014، ص 337.
14. إي إتش غمبريتش: مختصر تاريخ العالم، عالم المعرفة، منشورات المجلس الوطني للثقافة لفنون والآداب، الكويت، 2013، ص 34
15. دينيس تشيكالوف وفلاديمير كوندراشوف، مرجع سبق ذكره، ص 24
16. برونيسلاف مالينوفسكي: السحر والعلم والدين ومقالات أخرى، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، 2022، ص 7
17. دينيس تشيكالوف وفلاديمير كوندراشوف، مرجع سبق ذكره، ص 26
18. إيان تاتيرسول، مرجع سبق ذكره، ص 58
19. جيريمي بلاك، مرجع سبق ذكره، ص 44
20. دينيس تشيكالوف وفلاديمير كوندراشوف، مرجع سبق ذكره، ص 33

21. عبد الله حسين: تاريخ ما قبل التاريخ، دار هنداوي للنشر، القاهرة، 2012، ص73
22. فرانسوا بون: عصور ما قبل التاريخ، بوتقة الإنسان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص 33